OPEN ACCESS
Al-ISRA
International Journal of Islamic Thought
ISSN: 2959-3603
www.israjr.com

Al-ISRA
Vol.:5, Issue: 1, Jan -March 2026 PP: 49-62

علم اللغة: النشأة والأنواع والمباحث الحديثة

Linguistics: Its Origin, Types, and Modern Branches

Fatima Naseem
PhD Scholar, Department of Arabic, BZU Multan, Pakistan
Email: fatimanaseem543@gmail.com

Dr. Ammar Haider Zaidi (Corresponding Author)
Associate Professor, Department of Arabic, BZU Multan, Pakistan
Email: ammadhaider@bzu.edu.pk

Abstract

This scholarly article investigates the genesis, typologies, and contemporary branches of linguistics through the lens of Qur'anic studies. It commences by tracing the etymological roots of the Arabic term lugha and proceeds to examine classical and modern conceptualizations of language and linguistics. The study meticulously documents the historical trajectory of linguistic inquiry across civilizations—from Greek and Indian traditions through Sumerian, Egyptian, Akkadian, and Hebrew contributions, culminating in medieval European scholarship and the distinguished Arab grammatical tradition. The article identifies four foundational domains of linguistics—phonetics, morphology, syntax, and semantics—and rigorously applies them to selected Qur'anic formulations, particularly Sūrat al-Fātiḥa. Employing a descriptive-analytical methodology, the research demonstrates that the Holy Qur'an has historically functioned as the principal catalyst for Arabic phonological, morphological, syntactic, and semantic investigation. The study concludes that classical Arabic linguistic scholarship exhibits remarkable methodological congruence with modern linguistic paradigms, and that Qur'anic discourse constitutes an inexhaustible repository for contemporary linguistic analysis.

Keywords: *Qur'an, linguistic source, phonetics, morphology, syntax, semantics, Sūrat al-Fātiḥa.*

CC BY

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ﷺ جعله الله تعالى خاتم النبين وسيدالمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم، أما بعد!

يُعَدُّ البحثُ في كتاب الله تبارك وتعالى من أسمى ضروب الفكر الإنسانيّ وأرفعِها قدرًا وأبعدِها أثرًا، إذ يجدُ الباحثُ اللغويُّ في القرآن الكريم غايتَه المنشودةَ ومبتغاه الأسنى ومقصدَه الأجلَّ. فالقرآنُ الكريمُ يُشكِّلُ مصدرًا لغويًّا ثرًّا ورافدًا خصبًا ومعينًا ﻻ ينضب للدراسات الصوتية والصرفية والنحوية والدﻻلية، ولو هذه الدراساتُ القرآنيةُ الرائدة لما بلغت الدراساتُ اللغويةُ ما بلغتْه من نضجٍ واكتمالٍ وتطوُّرٍ مطَّرد. وقد اعتنى المسلمون عبر العصور المتعاقبة بحفظ كتاب الله وتوثيقه لفظًا ومعنًى ورسمًا وأداءً، فكان ذلك حافزًا أساسًا ودافعًا جوهريًّا لتطوُّر الدرس اللغويّ العربيّ وتفرُّع مباحثه وتشعُّب مسائله.

وتضطلعُ اللسانياتُ بدورٍ محوريٍّ ﻻ يُستهان به في فهم القرآن الكريم وأسرارِه البيانية وكنوزِه الدﻻلية ورموزِه التعبيرية، إذ تختصُّ هذه المقالةُ بتناول الدراسات اللغوية وفق منهجيةٍ علميةٍ رصينةٍ متكاملة، تدرسُ بنيةَ اللغة دراسةً شاملةً مستقصية، وكيفيةَ بناء مفرداتها وتكوينَ كلماتها وتركيبَ جملها، مع العناية الفائقة بمعرفة الأصوات الخاصَّة بكل كلمة وطبيعة نطقها ومخارج حروفها. ويتوزَّع هذا العلمُ الجليل على أربعة مجاﻻتٍ رئيسة: علم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم الدﻻلة.

ويهدف هذا البحثُ المتواضع إلى فهم الصيغ القرآنية وما يُعرَض لأدائها في ضوء العلوم اللغوية الأربعة آنفة الذكر، مع بيان مدى ارتباط هذه الصيغ باللهجات العربية القديمة وتفاعلها معها. ويعتمد البحثُ منهجًا علميًّا يقترب من المنهج الوصفيّ التحليليّ، حيث يدرس الظواهرَ اللغويةَ في النصوص القرآنية دراسةً متأنيةً معمَّقة، مع الإشارة الواعية إلى آراء القدماء والمحدثين فيها، متخذًا من سورة الفاتحة أنموذجًا تطبيقيًّا رائدًا للمستويات اللغوية المختلفة.

أولًا: التأصيل اللغوي لمفهوم اللغة

المبحث الأول: أصل كلمة "لغة"

تشغل قضيةُ تحديد أصل الكلمات اهتمامًا مركزيًّا في الدرس اللغويّ العربيّ، وكلمةُ "لغة" من الكلمات التي تعدَّدت فيها الآراء وتنوَّعت اﻻجتهادات وتشعَّبت المذاهب. فالكلمةُ عربيةُ الأصل، جاءت على وزن "فُعلة" من الفعل "لغا يلغو لغوًا" على باب "نصر ينصر نصرًا"، وجمعُها: لُغات ولُغون ولُغًى.[1]

ويرى إمامُ الحرمين الجويني في كتابه "البرهان" أنَّ كلمةَ اللغة مشتقَّةٌ من "لَغِيَ يَلْغَى" من باب "رضي يرضى"، بمعنى لَهِجَ بالكلام وأكثرَ منه (ابن منظور، لسان العرب، مادة "لغا"). بينما ذهب فريقٌ آخر من اللغويين إلى أنَّ الكلمة تأتي على وزن "فُعلة" من "لغا يلغو"، ومعناها الكلامُ والمحادثة، وأصلُها "لُغوة" ككُرَةٍ وثُبَةٍ.[2]

وثمَّة رأيٌ ثالثٌ يُخرِج الكلمةَ عن أصلها العربيّ الخالص، فيرى أنَّها معرَّبةٌ عن الكلمة الإغريقية "لوغوس" (Logos) التي تعني الكلام أو اللغة. وعلى الرغم من تعدُّد هذه الآراء وتنوُّعها، فإنَّ الراجحَ عند جمهور الباحثين المحقِّقين هو عروبةُ الكلمة وأصالتُها في اللسان العربيّ، إذ إنَّ اﻻشتقاق العربي واضحٌ جليّ ﻻ لبس فيه.

المبحث الثاني: تعريف اللغة

تعدَّدت تعريفاتُ اللغة تعدُّدًا فنًّا بتعدُّد المدارس اللسانية واتجاهاتها الفكرية ومناهجها المعرفية، ويمكن إجمالُ أبرز هذه التعريفات وأدقِّها فيما يلي:

عرَّف ابنُ جني (ت 392هـ) اللغةَ تعريفًا جامعًا مانعًا بقوله: "إنها أصواتٌ يعبِّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم"[3]. وهذا التعريفُ على إيجازه البليغ يجمع بين البعد الصوتيّ والوظيفة التواصلية للغة، ويشير إلى الطبيعة الاجتماعية للظاهرة اللغوية.

أمَّا دي سوسير (Ferdinand de Saussure) — شيخ البنيوية — فيعرِّفها بأنَّها "نظامٌ من الرموز الصوتية أو مجموعةٌ من الصور التي يخزنها أعضاءُ المجموعة في أذهانهم، وتُستخدَم للتفاهم بين أعضاء مجتمعٍ معيَّن"[4]. ويؤكِّد سوسير على الطبيعة المزدوجة للغة، فهي ظاهرةٌ فردية واجتماعية في آنٍ واحد، ولا يمكن تصوُّر أحدِهما بمعزلٍ عن الآخر.

ويضيف فندريس (Vendryes) بُعدًا رمزيًّا عميقًا حين يعرِّف اللغةَ بأنَّها "نظامٌ من العلامات"، والمرادُ بالعلامات الرموزُ التي تحمل المعاني وتنقلها من ذهنٍ إلى ذهن[5]. ويقترب لاند (Land) من هذا المفهوم حين يجعل اللغةَ "وظيفةَ التعبير اللفظيّ للفكر، سواء كانت داخليةً أو خارجية"[6].

المبحث الثالث: تعريف علم اللغة

إذا كانت اللغةُ ظاهرةً إنسانيةً قديمةً قِدَمَ الإنسان نفسه، فإنَّ علمَ اللغة بوصفه دراسةً منهجيةً لهذه الظاهرة يُعَدُّ علمًا حديثًا نسبيًّا في صورته الأكاديمية المعاصرة. وقد تعدَّدت تعريفاتُ هذا العلم بتعدُّد زوايا النظر إليه وتباين المدارس الفكرية، ومن أبرزها وأدقِّها:

يرى فوائد حناترزي أنَّ علمَ اللغة هو "الدراسة العلمية للغة، دراسةُ اللغة بالطريقة التي يدرس بها عالمُ الطبيعة أو الكيمياء موضوعَه"[7]. وهذا التعريف يؤكِّد على الطابع العلميّ المنهجيّ الصارم لدراسة اللغة، وينأى بها عن الانطباعات الذاتية.

ويقدِّم الدكتور محمد المبارك في كتابه القيِّم "فقه اللغة وخصائص العربية" تعريفًا شاملًا موسوعيًّا يرى فيه أنَّ علمَ اللغة هو "العلم الذي يهتم بدراسة بنية اللغة الشاملة على منهج علميٍّ لاستخلاص بنيتها ومعرفة تاريخ تطورها، سواء كان ذلك في أصلها أو كلماتها أو مفرداتها أو معانيها أو تراكيبها أو أساليبها، كما يهتم بدراسة المجموعات اللغوية والغوص في اشتقاقات والمشترك اللفظي والمترادفات والتضاد والتعريب، بالإضافة إلى النحت"[8].

وتُعرِّفه الموسوعاتُ اللسانية الغربية تعريفًا دقيقًا بأنَّه "الدراسة العلمية للغة، ويتضمَّن تحليلَ شكل اللغة ومعناها وسياقها"[9]. وتقول جين آيتشسون (Jean Aitchison) بدقَّة متناهية: "إنه الدراسة المنهجية للغة، وهو مبحثٌ يصف اللغةَ في جميع جوانبها ويصوغ النظرياتِ المتعلقةَ بكيفية عملها"[10].

أمَّا الدكتور صبحي الصالح فيعرِّف فقهَ اللغة تعريفًا إجرائيًّا دقيقًا بأنَّه "منهجٌ استقرائيٌّ ووصفيٌّ يُعرَف فيه أصلُ اللغة المراد دراستها ومكانُها الأصليُّ وفصيلتُها وعلاقتُها باللغات المجاورة أو البعيدة أو الشقيقة أو الأجنبية

وخصائصُها وعيوبُها"[11].

ويقدِّم الدكتور محمود فهمي حجازي تعريفًا مركَّزًا محكمًا في كتابه الرائد "علم اللغة العربية" يرى فيه أنَّ علمَ اللغة هو "العلم الذي يهتم بدراسة اللغة بطريقة علمية، حيث يدرس بنيةَ اللغة وكيفيةَ بناء مفرداتها وتكوينَ الكلمات فيها ومعرفةَ الأصوات الخاصَّة بكل كلمة وطبيعة صدورها"، ويضيف قولًا فاصلًا: "اللسانيات في أبسط صورها هي دراسة اللغة بأسلوب علمي"[12].

ثانيًا: مباحث فقه اللغة والفرق بينه وبين علم اللغة

حدَّد الدكتور عبد الحميد السكين مباحثَ فقه اللغة تحديدًا منهجيًّا في أربعة مجالاتٍ رئيسة: أصل اللغة، وحياة اللغة، والأصوات، والدلالة. وتشير هذه المجالات الأربعة بوضوحٍ إلى الطبيعة الشمولية للدرس اللغويّ الذي يجمع بين التأصيل التاريخيّ والوصف البنيويّ في إطارٍ متكامل[13].

أمَّا مسألةُ الفرق بين علم اللغة وفقه اللغة فقد شغلت حيّزًا كبيرًا من اهتمام الباحثين شرقًا وغربًا، وأثارت نقاشًا علميًّا مستفيضًا. ويذهب عددٌ كبير من اللغويين، كما يذكر الدكتور عبد الحميد السكين، إلى أنَّ هناك تداخلًا كبيرًا بين البحوث اللغوية والفيلولوجية، ممَّا يجعل تحديدَ الفروق الدقيقة بين المصطلحين أمرًا عسيرًا شائكًا. بل إنَّ بعض الباحثين يرى أنَّ المصطلحين مترادفان ترادفًا تامًّا ولا فرق بينهما، ولا يوجد سوى اختلافٍ طفيفٍ في طريقة تناولهما للموضوعات اللغوية وزاوية المعالجة[14].

ويكمن جوهرُ الاختلاف المنهجي في أنَّ فقهَ اللغة يتَّجه عادةً نحو الدراسات التاريخية والمقارنة، بينما يتَّجه علمُ اللغة الحديث نحو الدراسات الوصفية والبنائية. غير أنَّ هذا الفرق ليس قاطعًا حاسمًا، إذ تتداخل المنهجيتان في كثيرٍ من الدراسات اللغوية المعاصرة، وتتكاملان في بناء رؤيةٍ لغويةٍ شاملة.

ثالثًا: نشأة علم اللغة وتطوره عبر العصور التاريخية

المبحث الأول: اليونانيون

يُعَدُّ الفكرُ اليونانيُّ نقطةَ انطلاقٍ محوريةً في تاريخ الدرس اللغويّ الغربيّ، إذ بدأ هذا الفكر في القرن السادس قبل الميلاد في مجالاتٍ متعددة شملت الفلسفةَ واللغةَ والاجتماعَ والأدبَ والسياسةَ والأخلاق. ويُنسب إلى أفلاطون — رائد الفكر الفلسفي — أنَّه كان أوَّلَ من اكتشف إمكانيةَ القواعد النحوية، كما أنَّه أوَّلُ من فرَّق بين الاسم والفعل تفريقًا منهجيًّا، فالاسمُ عنده ما دلَّ على موضوع الحدث، والفعلُ ما دلَّ على الحدث نفسه[15].

وعندما انتقلت الدراساتُ اللغوية إلى الرواقيين، انفصلت عن الفلسفة انفصالًا منهجيًّا وأصبحت علمًا مستقلًّا بذاته له موضوعه ومنهجه. وقد حاول الرواقيون فصلَ مستويات اللغة عن بعضها فصلًا دقيقًا، وميَّزوا بين الأصوات والصرف والنحو تمييزًا واضحًا، وأسَّسوا بذلك لأوَّل مرَّة للدراسة المنهجية المستقلة لمستويات اللغة المختلفة[16].

وفي مجال التأليف المعجميّ، كان لليونانيين تاريخٌ طويلٌ حافل، إذ جمع أرسطوفانيس البيزنطي (255–180 ق.م) قائمةً بالكلمات اليونانية الصعبة وشرحها وحدَّد معانيها تحديدًا دقيقًا. ثم جاء مفليوس الإسكندري (50م) فألَّف قاموسًا موسوعيًّا ضخمًا من خمسة وعشرين مجلَّدًا، تضمَّن جميعَ القواميس التي سبقته[17].

المبحث الثاني: الهنود

يشير كثيرٌ من الباحثين المنصِفين إلى أنَّ الهنود سبقوا الإغريقَ في التأمُّل الواعي لطبيعة اللغة وخصائصها، إذ تعود الدراساتُ اللغوية في الهند إلى حوالي 1200 قبل الميلاد. وقد ترك الهنود آثارًا دراسيةً بالغة الأهمية تتعلَّق بمختلف فروع علم اللغة، حيث نظروا في الأصوات والقواعد والقواميس نظرةً علميةً رصينة، وقدَّموا العديدَ من قضايا الأصوات وصنَّفوها وفقًا لخصائصها الصوتية والسمعية تصنيفًا دقيقًا[18].

ومن أعظم الإسهامات الهندية في الدرس اللغويّ ما ألَّفه بانيني في القرن الرابع قبل الميلاد، حيث وضع "قواعد اللغة السنسكريتية" لغرضٍ دينيّ واضح، وصف فيه النظامَ الصوتيَّ لتلك اللغة وبنيتَها الصرفيةَ والنحويةَ بدقَّةٍ متناهيةٍ تثير الإعجاب. وقد جمع بانيني، الذي يُلقَّب بإمام النحاة الهنود، كتابًا عظيمًا بعنوان "المثمَّن" أي "الأجزاء الثمانية"، ضمَّنه أربعةَ آ□ف قاعدةٍ نظامية محكمة[19].

ويؤكِّد العالم اللغوي فيرث أنَّ الدراسات الصوتية نشأت في أحضان لغتين مقدَّستين هما العربية والسنسكريتية، مشيرًا إلى الدور الرائد لبانيني في وصف السمات النحوية للغة السنسكريتية بدقَّة بالغة[20].

المبحث الثالث: السومريون

يُعَدُّ السومريون شعبًا غير ساميٍّ وغير آريّ، ليس له أصلٌ قريبٌ معروف، وقد استقرُّوا في جنوب أرض الرافدين. استخدم السومريون لغتَهم في العراق في الفترة الممتدة من 4000 قبل الميلاد إلى 2000 قبل الميلاد، وتُعَدُّ لغتُهم من أوائل اللغات المكتوبة في العالم أجمع[21].

وقد استخدم السومريون الكتابةَ المسماريةَ التي تعبِّر عن الصور والرموز في كتاباتهم، وكانت أدواتُ الكتابة المستخدمة لديهم أقلامًا من الحديد أو الخشب أو الطين. وقد □قى هذا الخطُّ انتشارًا واسعًا حتى أصبح من أكثر الخطوط انتشارًا بعد الخطِّ اللاتينيّ والعربيّ[22].

المبحث الرابع: المصريون القدماء

بدأ الفكرُ اللغويُّ عند المصريين القدماء في القرن الخامس قبل الميلاد، حين سمع الملك المصري "بسماتيك" طفلًا يكرِّر كلمة "بيكوس" المرتبطة باللغة الفريجية التي كان يتكلَّم بها الناس في آسيا الصغرى. وقد أجرى الملك تجربتَه الشهيرة لمحاولة اكتشاف أقدم لغةٍ بشرية، ممَّا يُعَدُّ أوَّلَ تجربةٍ لغويةٍ موثَّقة في التاريخ البشري[23].

ويرجع المصريون أصلَ الكتابة إلى الإله "تحوت"، ويُعَدُّ المصريون القدماء من الشعوب الأفروآسيوية التي تحدَّثت اللغةَ المصرية القديمة منذ 4000 قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادي. وبعد دخول الإسلام، فضَّل المصريون لغةَ القرآن الكريم على لغتهم المصرية القديمة، فتقلَّصت لغتُهم الأصلية تدريجيًّا حتى اندثرت[24].

المبحث الخامس: الأكاديون

يُعَدُّ الأكاديون من الشعوب السامية التي هاجرت إلى العراق حوالي 3600 قبل الميلاد، واستقرُّوا في مدينة "أكاد" التي بناها سرجون الأكادي في شمالي أرض بابل لتكون عاصمةً لدولته الفتية، وسُمِّي الأكاديون نسبةً إلى هذه المدينة[25].

وتحكي الرواياتُ الأكادية أنَّ الإله "أنس" هو منشئ اللغة والكتابة عندهم، وأنَّه علَّمهم العلومَ والفنونَ والتقنيات. كما تذكر بعضُ الروايات أنَّ "ابن الإله مردوك" كان منشئَ الكتابة فيهم أول[26].

المبحث السادس: اليهود

يُعَدُّ اليهود شعبًا ساميًّا، وكانت لديهم لغةُ الوحي والإلهام من الله تبارك وتعالى. استخدم اليهود اللغةَ العبرية في حياتهم اليومية، وهي لغةٌ سامية تنتمي إلى العائلة السامية الحامية، ويمتدُّ تاريخُها من القرن الثاني عشر قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي[27].

وقد كتب اليهودُ بالعبرية العهدَ القديم واستخدموها حتى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، ثم تخلَّوا عنها تدريجيًّا وبدأوا يتكلَّمون الآرامية. وبذلك أصبحت اللغةُ العبرية لغةَ العبادة والشعائر الدينية فقط، حتى لم يُكتَب العهد القديم بالخط العبري إلا في القرن الثاني الميلادي[28].

ولم يقدِّم اليهود مساهمةً كبيرة تُذكَر في الدراسات اللغوية وكتابة الأدب اللغوي، إذ لم تظهر المدارسُ المهتمَّة باللغة العبرية الكلاسيكية إلا بعد أن أصبحت هذه اللغة لغةً ميتةً لا تُستخدَم في الحياة اليومية[29].

المبحث السابع: الدراسة اللسانية في القرون الوسطى

تبدأ المرحلةُ الأوروبية من التاريخ في العصور الوسطى من عام 476م وتنتهي حوالي عام 1500م. وخلال هذه الفترة، انتشرت المسيحية بين مختلف الشعوب الوثنية، واعتنقت هذه الشعوبُ الدينَ الجديد وترجمت الكتبَ المقدَّسة مثل التوراة والإنجيل إلى اللغات الأرمينية والقوطية والسلافية[30].

وقد أثبتت القواعدُ التقليدية أقدامَها في دراسة اللغة اللاتينية في هذا العصر، حيث صنَّف إسكندر دي فيلاي كتابًا تعليميًّا في النحو اللاتيني عام 1199م كان معنونًا بـ "Puerorum Decrinale". كما كتب دانتي، اللغوي الإيطالي الشهير، كتابًا يستقصي اللهجات الإيطالية عام 1301م، ذكر فيه خصائصَ أربعَ عشرة لهجةً منطوقة وقارن بينها وبين اللغة اللاتينية المكتوبة مقارنةً منهجيةً رائدة[31].

المبحث الثامن: الدراسة اللغوية عند العرب

تُعَدُّ الحضارةُ العربية الإسلامية من أرقى الحضارات التي أسهمت في تطوير الدرس اللغوي، إذ كانت بدايةُ هذا الدرس لغويةً نحويةً بامتياز. وقد نهض أبو الأسود الدؤلي بوضع قواعد النحو العربيّ بتوجيهٍ سديد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حين رأى تفشِّيَ اللحن على ألسنة الناس[32].

وتمثَّلت العبقريةُ الحقيقية لهذه المرحلة الأولى في شخصيتين بارزتين عظيمتين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) وتلميذه عمرو بن قنبر الملقَّب بسيبويه (ت 180هـ). وقد أضاف سيبويه إلى إسهاماته النحوية الجليلة دراساتٍ صوتيةً رائدة، إذ وقعت بحوثُه الصوتية في أواخر الجزء الثاني الأخير من مصنَّفه الشهير "الكتاب"[33].

وفي المرحلة الثانية من الدرس اللغوي العربي، برز ابن جني (ت 392هـ) الذي أخرج للناس كتابَه الفذَّ "الخصائص" في فقه العربية، وكتابَه "سر صناعة الإعراب" في علم الأصوات، إلى جانب كتبٍ أخرى كثيرة أغنت المكتبةَ اللغوية العربية إغناءً لا نظير له[34].

المبحث التاسع: الدراسة اللغوية الحديثة

في العصر الحديث، يُعَدُّ الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس رائدَ الدراسات اللغوية الحديثة في العالم العربي بلا منازع، ثم توالى من بعده تلاميذُه النجباء وغيرُهم في مختلف معاهد العلم وجامعاته. ومن أبرز هؤ□ء: الدكتور تمام حسان، وعبد الرحمن أيوب، وكمال بشر، والدكتور محمد المبارك في سوريا، والدكتور إبراهيم السامرائي في العراق، والدكتور صبحي الصالح في لبنان. وإلى جانب هؤ□ء جيلٌ كبير من الباحثين الشباب يعملون الآن في الجامعات العربية المختلفة، ممَّا يؤكِّد استمراريةَ الدرس اللغوي العربيّ وحيويتَه المتجددة[35].

وخلاصة القول إنَّ علماء اللغة العربية تناولوا في بحوثهم كلَّ فروع المعرفة التي نعدُّها اليوم مستوياتٍ أو جوانبَ متعددةً لعلمٍ عامٍّ واحد، من أهمِّها الجانب الصوتي، والجانب التركيبي (النحو والصرف)، والجانب الد□لي، واضعين إيَّاها جميعًا بوصفها مراحلَ أو خطواتٍ من الدرس ترمي إلى غرضٍ مشترك بينها[36].

رابعًا: خصائص اللغة وأغراض علم اللغة

المبحث الأول: خصائص اللغة

تتميَّز اللغة بمجموعة من الخصائص الجوهرية التي تحدد طبيعتها ووظيفتها، ويمكن إجمالُها فيما يلي:

1ـ اللغة ظاهرة جبلية ومكتسبة :فهي فطرية من حيث ا□ستعداد، مكتسبة من حيث التحقق الفعلي.

2ـ اللغة ظاهرة إنسانية :تختص بالإنسان دون سائر المخلوقات.

3ـ اللغة نظام إيمائي وإشاري :تشمل الإيماءات والإشارات والعلامات.

4ـ اللغة أصوات معبرة :هي تسمية الأصوات المعبرة عن أهداف قوم بعينهم.

5ـ اللغة نظام مقنن :تخضع لقواعد وقوانين مخصوصة مطبقة.

6ـ اللغة كلية متشابهة :تنتظم فيها العناصر في نسق متكامل.

7ـ اللغة حاملة للمعنى :هي اسم المعنى ووعاؤه.

8ـ اللغة ظاهرة اجتماعية :عرفية النشأة والتطور.

المبحث الثاني: أغراض علم اللغة

يسعى علمُ اللغة إلى تحقيق جملةٍ من الأغراض المعرفية والعملية، أهمُّها:

1. الوقوف على حقيقة الظواهر اللغوية والعناصر التي تتألَّف منها والأسس التي تقوم عليها.

2. تحديد الوظائف التي تؤدِّيها اللغة في مختلف مظاهرها.

3. كشف العلاقات التي تربط الظواهرَ اللغوية بعضَها ببعض، وعلاقاتِها بالظواهر ا□جتماعية والنفسية والتاريخية والجغرافية والطبيعية والفيزيولوجية والأنثروبولوجية.

4. تتبُّع أساليب تطوُّر اللغة واختلافها باختلاف الأمم والعصور.

5. استنباط القوانين التي تخضع لها اللغة في جميع نواحيها، وهذا الغرضُ الأخير هو الأساسي في بحوث علم اللغة [37].

خامسًا: مباحث علم اللغة الحديث

تختلف اللسانياتُ الحديثة عن اللغويات القديمة في منهجيتها وقضاياها، إذ تشتمل على مجموعةٍ من المباحث المترابطة تكاملًا وثيقًا:

المبحث الأول: علم الأصوات (Phonetics)

يُعَدُّ علمُ الأصوات من أهم فروع اللسانيات وأدقِّها، إذ يهتم بدراسة خصائص أصوات الكلام الإنساني وتبويبها تبويبًا منهجيًّا. ولكل لغةٍ نظامُها الصوتيُّ الخاص ورموزُها الصوتية المميَّزة. وتكمن فائدة هذا العلم الجليلة في أنَّه يجعل دارسَ اللغة ينطق الأحرفَ والكلمات كما ينطقها أهلُ اللغة الأصليون نطقًا سليمًا[38].

ويدرس علمُ الأصوات الأصواتِ التي تتألَّف منها اللغة، مبينًا أقسامَها وفصائلَها وخواصَّ كلِّ قسمٍ ومخارجَه، وما تعتمد عليه من أعضاء النطق، وطريقةَ إحساس السامع بها، واختلافَ النطق بالحروف واختلافَ الأصوات التي تتألَّف منها الكلمة في لغةٍ ما باختلاف عصورها والأمم الناطقة بها، والعواملَ التي تنجم عنها هذه الظواهر والنتائجَ اللغوية التي تترتَّب عليها[39].

الصوت والفونيم:

يُعَدُّ الصوتُ العنصرَ الجوهريَّ الذي تظهر به اللغة من مصدرها وتنتقل به إلى متلقيها، وبدونه تكون اللغة. ويُسمَّى هذا الصوت المتميِّز في علم اللغة الحديث بـ "الفونيم"، وهو أصغر وحدة صوتية يمكن تمييزها في الكلام[40].

والفونيمات هي العناصر الأولية للصوت بصفة خاصة، وللغة بصفة عامة، إذ يمكن تحليلُ صوت اللغة إلى ما هو أبسط منه[41].

النظام الصوتي:

يُعَدُّ النظامُ الصوتي الأساسَ الأول الذي تُبنى عليه باقي الأنظمة اللغوية، ومادةُ هذا النظام هي الأصوات إفرادًا وتركيبًا. وتقوم عمليةُ الصوت اللغوي على سلسلةٍ من الخطوات المتعاقبة تتوالى من المتكلم إلى السامع[42].

المبحث الثاني: علم الصرف (Morphology)

يبحث علمُ الصرف في القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغيُّر أبنيتها بتغيُّر المعنى. وتُسمَّى هذه المباحث في اللسانيات الحديثة بـ "المورفولوجيا"، أي علم البنية[43].

ومادة هذا العلم هي الوحدات الصرفية (Morphemes)، وقد تكون الوحدة الصرفية كلمةً كاملة، أو جزءًا في بدايتها أو وسطها أو نهايتها. وقد تكون المغايرة بين الصيغ كالمغايرة بين الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول. وقد تتكوَّن الوحدة الصرفية من وحدة صوتية واحدة أو أكثر، فالكلمات مثل "قال، ضرب، نصر" وحدات صرفية، والحروف مثل "إلى" وحدات صرفية أيضًا[44].

بناء الكلمة:

من الفونيمات أو الأصوات الصامتة تُبنى الكلمات بواسطة الحركات والسكون. والحركات هي الأصوات الصائتة، وهي ستة في اللغة العربية: ثلاثة للحركة القصيرة (الضمة والكسرة والفتحة)، وثلاثة للحركة الطويلة (الواو

الممدودة والياء الممدودة والألف الممدودة). أمَّا السكون فهو صوت انعدام الحركة[45].

ويتم بناء الكلمة بتوالي الأصوات الصامتة بمصاحبة الأصوات الصائتة في شكل مقاطع متميزة متجاورة. ويبدأ المقطع في اللغة العربية بصامتٍ متحرك. فالكلمة "نحن" مثلًا تتكوَّن من مقطعين: "نحْ" وهو صوت صامت + حركة قصيرة + صوت صامت + سكون، و"نُ" وهو صوت صامت + حركة قصيرة[46].

مجالات البحث الصرفي:

يبحث علم الصرف في حقلين كبيرين: أولهما الاشتقاق، وثانيهما التصريف أي الزيادات التي تلحق الصيغ أو تغيّر من تراكيبها للدلالة على الأجناس الصرفية. ومن ذلك علامات التثنية والجمع (مورفيمات العدد)، وعلامات التأنيث والتذكير (مورفيمات النوع)، وعلامات التعريف والتنكير، وعلامات الإعراب[47].

المبحث الثالث: علم النحو (Syntax)

يُعرف هذا العلم في الإنجليزية بـ (Syntax)، وهو يبحث في أصول تكوين الجملة وقواعد الإعراب. فغاية علم النحو أن يحدِّد أساليبَ تكوين الجمل ووضعَ الكلمات ووظيفتها فيها، كما يحدِّد الخصائصَ التي تكتسبها الكلمة من موضعها في الجملة، سواء أكانت خصائص نحوية كالابتداء والفاعلية والمفعولية، أو أحكامًا نحوية كالتقديم والتأخير والإعراب والبناء[48].

وظيفة الإعراب

تدل الحركات في اللغة العربية على المعاني، فالأسماء "لما كانت تعتروها المعاني وتكون فاعلةً ومفعولةً ومضافًا إليها، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلةٌ على هذه المعاني بل كانت مشتركة، جُعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني"[49].

ويؤكِّد الزجاجي هذا المعنى بقوله الفصل: "وأصل الإعراب للأسماء وأصل البناء للأفعال والحروف، لأنَّ الإعراب إنَّما يدخل في الكلام ليفرِّق بين الفاعل والمفعول والمالك والمملوك والمضاف والمضاف إليه وسائر ذلك ممَّا يعتور الأسماء من المعاني، وليس شيء من ذلك في الأفعال ولا في الحروف"[50].

هندسة الجملة:

أطلق إبراهيم أنيس على نظام الجملة اسم "هندسة الجملة". واللغة تتألَّف من جمل، والجملة تتألَّف من كلمات، والكلمة تتألَّف من أصوات. فالأصوات مادة الكلمة، والكلمة مادة الجملة، والجملة في الغالب مادة اللغة[51].

تحليل نحوي تطبيقي:

عند تحليل جملة "الحمد لله رب العالمين"، نجد أنها تتكوَّن وفق مجموعة من القواعد والنظم المحكمة:

1. من حيث النظام الصوتي :كلمة" الحمد "مكوَّنة من ثمانية أصوات هي :الهمزة والفتح واللام والحاء والفتح والميم والدال والضمة.

2. من حيث النظام الصرفي :كلمة" الحمد "صيغت من الجذر" ح م د "على وزن" فَعْل."

3. من حيث النظام النحوي :الجملة تبدأ بالمبتدأ" الحمد "وخبره شبه الجملة" لله"، و"رب "بدل أو نعت.

4. من حيث النظام الدلالي :المعنى الكلي للجملة هو الثناء الكامل على الله تعالى بوصفه مالك العالمين ومدبّر أمرهم[52].

ويضبط النظام النحوي القواعدَ التي تتحكَّم في طرق ضمّ وترتيب الكلمات، فالجملة الواحدة يمكن إعادة صياغتها بطرق متعددة قد توافق النظام النحوي وقد تخالفه. فجملة "الحمد لله رب العالمين" يمكن إعادة صياغتها بصيغ مقبولة نحوًا مثل "لله الحمد رب العالمين"، وصيغ مرفوضة نحوًا مثل "رب لله الحمد العالمين"[53].

المبحث الرابع: علم الدلالة (Semantics)

أُطلق على هذا العلم عدة أسماء في الإنجليزية منها: Semology, Semasiology, Sematology، وأشهرها الآن كلمة Semantic. أمَّا في العربية فيُسمَّى علم الدلالة[54].

تعريف الدلالة:

الدلالة هي العلاقة بين اللفظ والمعنى، فاللفظ يكون دالًّ والمعنى مدلولٌ. والدلالة هي ما ينصرف إليه اللفظ في الذهن من مدرَك أو محسوس[55].

موقع الدلالة في النظام اللغوي:

يُعَدُّ المعنى عنصرًا كامنًا في العناصر الثلاثة السابقة (الصوت والصرف والنحو)، كمون الروح في الجسد، فهو مصاحب لهذه العناصر وسابق عليها في الذهن. فالمعنى هو الذي جعل الصوت فونيمًا، والقول كلمة، والتركيب جملة. وبدون المعنى يصير الصوت غفلًا، والكلمة فارغة، والجملة غير مفيدة[56].

آلية توليد المعنى:

تتكوَّن مادة الكلمة من مجموعة الصوامت ثلاثة أو أربعة أو خمسة، ثم يَرِد على هذه الصوامت مصوَّتات أو حركات متغيرة، وهي التي تؤدِّي لنا الصور المختلفة ذات المعاني المختلفة. فمثلًا المادة "كتب":

إذا وضعنا الفتحة بعد الصامت الأول والثاني" كَتَبَ "تكون لنا الفعل الماضي.

وإذا غيَّرنا هذا الصوت إلى ضمة" كُتُب "أفادنا هذا التكوين معنى آخر هو جمع" كتاب."

وهكذا فإنَّ اختلاف في نوعية المصوتات أو طابعها أو كميتها يحدث صيغًا كثيرة متنوعة المعاني[57].

تطور المعنى:

إنَّ المعنى المتولِّد من هذه الصور محدَّدٌ تحديدًا قاموسيًّا في المعاجم، ولكن المجتمع والتطوُّر التاريخي للغة يحدثان تأثيرهما في المعنى، فيضيفان إليه وينقصان منه. ولهذا العلم تطبيقات وأصول في العربية الفصحى وفي العاميات المعاصرة[58].

سادسًا: فروع علم اللسانيات

يتفرَّع علم اللسانيات الحديث إلى فروع متعددة، منها:

1. علم اللسانيات الوصفي :(Descriptive Linguistics) وهو العلم الذي توصف به جميع الألسنة كما هي في الواقع اللغوي.

2. علم اللسانيات التطبيقي :(Applied Linguistics) ويُقصَد به تطبيق القواعد اللسانية في حل المشكلات المتعلقة بتعلُّم اللغة وتعليمها.

3. علم اللسانيات التاريخي :(Historical Linguistics) وهو العلم الذي يقوم بدراسة اللغة عبر العصور التاريخية وتتبُّع تطوُّرها.

4. علم اللسانيات النفسي :(Psycholinguistics) ويدرس العوامل النفسية المؤثِّرة في تعلُّم لغة الأم أو لغة أجنبية.

5. علم اللسانيات الجغرافي :(Geo-Linguistics) ويختص بدراسة اللغات واللهجات وتقسيمها حسب الموقع الجغرافي.

6. علم اللسانيات النظري :(Theoretical Linguistics) وهو العلم الذي يبحث في الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بوصفٍ أساسي.

7. علم اللسانيات الاجتماعي :(Socio-Linguistics) وهو العلم الذي يدرس علاقة اللغة بالمجتمع وتأثير كلٍّ منهما في الآخر[59].

خاتمة:

يتَّضح من هذا العرض الشامل المستفيض أنَّ علم اللغة قد قطع شوطًا طويلًا في تطوُّره، منذ بداياته الأولى عند الهنود واليونانيين، مرورًا بالحضارة العربية الإسلامية التي أثرت الدرسَ اللغويَّ إثراءً لا نظير له، وصولًا إلى اللسانيات الحديثة بفروعها المتعددة ومباحثها المتنوعة ومناهجها المتطورة.

وقد أثبت البحث بما لا يدع مجالًا للشك أنَّ القرآن الكريم كان ولا يزال المصدرَ الأهمَّ والأول للدرس اللغوي العربيّ، إذ حفز المسلمين على العناية باللغة ودراستها دراسةً علميةً منهجية، حفظًا لكتاب الله من اللحن والتحريف. كما أنَّ الدراسات القرآنية أسهمت إسهامًا فاعلًا في تطوير علوم الأصوات والصرف والنحو والدلالة، وفتحت آفاقًا جديدة للبحث اللغوي.

وإنَّ المتأمِّل في قوله تعالى: "الحمد لله رب العالمين" ليدرك عظمةَ البناء اللغوي القرآني، حيث تتعاضد المستويات اللغوية الأربعة — الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية — لتؤدِّي معنى متكاملًا دقيقًا، لا يمكن لأي تحليل أحادي المستوى أن يحيط به أو يوفيَه حقَّه.

وختامًا، فإنَّ الدرس اللغوي العربي المعاصر مدعوٌّ إلى مزيدٍ من الاستفادة من مناهج اللسانيات الحديثة، مع الحفاظ على الأصالة التراثية التي تميَّز بها الدرس اللغوي العربيّ عبر العصور، لتقديم إسهام معرفيٍّ يجمع بين عراقة التراث ودقَّة المنهج العلمي المعاصر، ويفتح آفاقًا جديدة لفهم كتاب الله تعالى فهمًا أعمق وأشمل.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الهوامش

1. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة "لغا".
2. ابن منظور، المرجع نفسه.
3. ابن جني، الخصائص، ج1، ص33.
4. دي سوسير، علم اللغة العام، ص34.
5. نقلاً عن وافي، علم اللغة، ص77.
6. نقلاً عن وافي، المرجع نفسه، ص77.
7. نقلاً عن شاهين، في علم اللغة العام، ص11.
8. المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص18.
9. Encyclopedia of Linguistics، ص63.
10. Aitchison, Linguistics, p.20.
11. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص21.
12. حجازي، علم اللغة العربية، ص14.
13. السكين، مباحث فقه اللغة، ص27.
14. السكين، المرجع نفسه، ص28.
15. بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص34.
16. جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، ص18.
17. جاد الرب، المرجع نفسه، ص19.
18. بشر، دراسات في علم اللغة، ص225.
19. خرما، دراسات لغوية، ص78.
20. نقلاً عن خرما، المرجع نفسه، ص79.
21. Sehmokel, Sumer, p.45.
22. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص34-35.
23. جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، ص22.

[24]. جاد الرب، المرجع نفسه، ص23.

[25]. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص36.

[26]. ولفنسون، المرجع نفسه، ص37.

[27]. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص40.

[28]. ولفنسون، المرجع نفسه، ص41.

[29]. بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص28.

[30]. جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، ص25.

[31]. جاد الرب، المرجع نفسه، ص26.

[32]. شاهين، في علم اللغة العام، ص11.

[33]. شاهين، المرجع نفسه، ص12.

[34]. بشر، دراسات في علم اللغة، ص220.

[35]. بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص179.

[36]. بشر، المرجع نفسه، ص180.

[37]. وافي، علم اللغة، ص8.

[38]. حماش، معجم المصطلحات اللغوية والصوتية، ص174.

[39]. وافي، علم اللغة، ص77.

[40]. خلف، اللغة والبحث اللغوي، ص36.

[41]. خلف، المرجع نفسه، ص37.

[42]. بشر، دراسات في علم اللغة، ص220.

[43]. وافي، علم اللغة، ص8.

[44]. بشر، دراسات في علم اللغة، ص220.

[45]. خلف، اللغة والبحث اللغوي، ص38.

[46]. خلف، المرجع نفسه، ص39.

[47]. بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص179.

[48]. الزجاجي، الجمل، ص260.

[49]. الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص69.

[50]. الزجاجي، الجمل، ص260.

51. أنيس، في علم اللغة، ص112.
52. أحمد، فونولوجيا القرآن، ص18.
53. أحمد، المرجع نفسه، ص19.
54. عمر، علم الدلالة، ص11.
55. ابن السكيت، الأضداد، ص55.
56. خلف، اللغة والبحث اللغوي، ص40.
57. شاهين، في علم اللغة العام، ص112.
58. شاهين، المرجع نفسه، ص113-114.
59. حجازي، علم اللغة العربية، ص45.